الافتتاحية

آباء الكنيسة والكتاب المقدّس

رئيس التحرير

يُدهشنا آباءُ الكنيسة، عندما نقرأ مؤلّفاتهم المتنوّعة، بالكَمِّ الكبير الذي به ملأوا أهراءات كنيسة المسيح، ويُثير إعجابَنا أكثر فأكثر إلمامُهم الشموليّ بنصوص الكتاب المقدّس بعهدَيْه، القديم والجديد، وارتكازهم عليها في تعاليمهم، ووعظهم، ولاهوتهم، وروحانيّتهم، وليتورجيّةِ بعضهم، والأهمّ تفسيرهم لهذه النصوص بأفضل المنهجيات التي كان كلٌّ منهم يعتمد وَفْقَ ثقافته ومعرفته وحسّه العلميّ والرعويّ. إنهم في الحقيقة علماء الكتاب المقدس بامتياز، في عصرهم وحتّى يومنا، لأنهم أحسنوا القراءةَ والإحاطةَ، ثم استخراج المعاني، واستخلاص العِبَرَ الحياتية، الخلقية منها والروحية والمسلكية.

في الواقع، يُلفتُنا أيضًا إلْفُ الحال بين آباء الكنيسة والكتاب المقدّس، الرفيق الدائم، والمفقِّهُ الأوّل، والمرشد الأكيد؛ من خلاله يسمعون صوت أنبياء العهد القديم، وحكمائه، ومؤرِّخيه، ومُنْشِديه، وكهنته، ومعلّميه؛ ومن خلاله يتعرّفون إلى هوية الابن الوحيد في العهد الجديد، ويستعذبون توجيه آذانهم إلى همساته الروحية الرقيقة، ويتلقّفون تعاليمه السماوية التي استودعها بني الأرض، وكأنّي بالكتاب المقدس البشير الذي ينقل إليهم كلام الله، يتلقّونه فيكون لهم الإيمان ويكون أوفر، ويطيعونه فيترسَّخ عهد الربّ في أعماق قلوبهم، ويختبرون حضور الله، فيتحوّلون إلى رُسُلٍ يملأون الأرض من خيرات السماء.

نحن نعلم أنّ الكتاب المقدس يتضمّن كلام الله، ونعلم أيضًا أنه يحوّل قارئه إلى كلمة إلهيّة هي من عند الله تأتي؛ وإذا كان هذا الكتاب يتكلّم على الخلاص الموعود، وعلى المسيح الحاضر في كلام الأنبياء قبلاً، وفي العهد الجديد لاحقًا، والذي به تمّ الخلاص، فإنه يحسن أن نتذكرّ ما كَتَبَهُ القديس إيريناوس حول هذا الحضور: "إنّ ابن الله مزروع في كلّ أسفار موسى"[1]. هكذا هي الأسفار المقدسة: إنها ينبوع حياة لكل مَن يقبل الكلمة، ويَدَعُها تفعل فعلَها في كيانه، فتُدْخِلُه في سرّ الله وفي سرّ الخلاص، وتجعله يكتشف مَن هو الإنسان الذي خلقه الله ليحبّه ويكون خاصّتَه.

هذا ما يجعلنا نفهم سببَ اعتناء آباء الكنيسة بأن يعلّموا قارئيهم ومؤمنيهم أن ينطلقوا دومًا من الكتاب المقدّس، الذي يغذّي الإيمان، وينمي المحبة لله وللقريب. إنّ فَهْمَ الكتاب المقدس، من جهة، وتفسيرَه للآخرين، من جهة ثانية، واتخاذَه مقياسًا للسلوك المسيحي، من ناحية أخرى، كلّ ذلك يفترض أن نكون معه في مسيرَة يوميّة، نصغي إليه يُحدّثنا ويُلهب منّا القلبَ حبًّا، ويملأ العقلَ إدراكًا. لذلك نحن نعتبر أنّ مواكبةَ آباء الكنيسة لنا في تَعَلُّمِنا الكتاب المقدس، ومن ثَمَّ عيشه، هي من الطُرُق الأكثر إفادةً والأكثر ترسيخًا في العلم والمعرفة والالتزام الحياتيّ.

في هذا السياق، وانطلاقًا من القناعات المدرَجَة أعلاه،

(١) إيريناوس، **ضدّ الهراطقة** ٤: ١٠: ١.

رأينا أنه من الواجب أن نخصّ أحد ألمع الوجوه الآبائية، ألا وهو يوحنا الذهبيّ الفم، بإصدارين من **مجلة بيبليا**، لإبراز أفضال هذا الرجل العظيم، كنسيًا، وبيبليًا، ورعويًا، وغير ذلك. ألف وستمائة سنة انقضت على "استشهاد" هذا الراعي المثال في بلاد أرمينيا، حيث قضى كمعلّمه "خارج المحلّة"؛ مَن نَفَوه زالوا من الوجود وكذا ذكرهم، أما هو فاسمه خالدٌ في قلب الله وفي قلب الكنيسة، وتعاليمه تسطع بلا انقطاع في سماء كلّ محبٍّ لله وساعٍ إلى نور المعرفة، وليتورجيّته هي مُعتَمَدُ كلِّ متضرّعٍ ومُصَلٍّ وعابد. إنّ معرفته الواسعة والعميقة والمتينة للكتاب المقدّس، وتفسيره له بأسلوبه البلاغيّ المميّز، واستثمار مخزونه لصالح مؤمنيه، من جهة، ولمقاومة المُضَلِّلِين والمُفسِدين، من جهة ثانية، كلُّ ذلك خلقَ حوله إجماعًا لا مثيل له، وإقبالاً منقطع النظير عليه، بالرغم ممّا حاك رجالُ الظلام من دسائسَ ومؤمراتٍ ضدّه، وبالرغم من أنّهم بلغوا مَأرَبَهُم بالقضاء عليه من خلال النفي؛ هؤلاء بأجمعهم غابوا ومعهم صراخُهم، أما الذهبيّ الفم فما زال صوتًا صارخًا ومدوّيًا، وسيبقى حتى منتهى الدهور كتابًا مقدّسًا في أرجاء الكنيسة بأسرها.